Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن خلال الدق يرى اليد التى ترسله ، بل والشعر الخفيف الأصفر عليها والأصابع والأظافر ، وكان لابد أن يتكلما فاستعمل « الكسرولة » وراح يهمس « بأعلى واحد ما يستطيع » وحين حدث اللقاء كاد يصاب بخيبة الأمل « فقد جاء الصوت وكأنه ليس نافذا من خلال الحائط وانما كان الحائط أو ما هو أثقل بكثير من الحائط كان جبلا بأكمله قد مر على كلماته وحروفه فسحقها كما كان القطار يسق ما نضعه فوق قضيبه من مسامير ونحن صغار فيحيلها الى رقائق معدنية كحد الموسى ، لم تكن كلمات أو حروفا وانما مسحوق همس لا أستطيع تمييز جمله ، تهشمت ودكت بحيث استحالت الى أصوات متصلة أو متقطعة ، كالأنين مرة والصفير مرة أخرى ، كسين طويلة بطول السطر أو كمئة دال متتابعة ، وأيضا لا تعرف حتى نوع الصوت الآتية به فهو أحيانا غليظ كأصوات الرجال وأحيانا دقيق ورقيق كأن مصدره عصفور كنارى ، ولابد أن صوتى هو الآخر كان يصلها على نفس الصورة ، ولكن ، كما لم تستطع الجدران ان تحول بين قانون الذكر والانثى وبين ان يأخذ مجراه ، فكذلك لم تقف اللغة المهشمة والهمس المسحوق حائلا ، بل مفروضا ان يفصل بيننا الى وسيلة اتصال ، فكذلك احلنا اللغة المهشمة الى اداة تفاهم ، وبالهمس المسحوق رحنا نتحدث ، حديث المحبين الخجول المتعثر المفضى دائما الى الحديث عن النفس ، والاعتراف ، وكأن كل منا وجد القلب الحنون الذى يهدهد على كلماته ويغفر أخطاءه ويجد المبرر لذنوبه وعثراته .

ولا شك انها تجربة مرهقة لكاتبها وقارئها . لكن يوسف ادريس اعتاد ان يهز أعصابه واعصابنا — من دون رحمة — بالتجارب المرهقة منذ مجموعته الأولى ، ولن ننسى تجارب عدة فى هذه المجموعة المبكرة ، منها « خمس ساعات » و « شغلانة » كما لا ننسى : « لغة الآى آى » وما شابهها ، وقد راحت الفتاة تتجسد له من خلال همسها المسحوق ، ويقنعنا بالدليل العلمى بامكانية حدوث ذلك عن طريق الاحساس ، كما يتمكن الطب الشرعى منه عن طريق العلم . فكما استطاع الطب الشرعى أن يعيد صنع الانسان بأكمله ، اذا عثروا على أصبع من أصابعه أو جزء من أعضائه ، اذ لابد لكل اصبع من اليد التى تناسبها ، ولابد لليد من الذراع والجسد والأقدام التى تناسبها ، وكل أنف له الأذن والعين والوجه الخاص ، فقد استطاع من خلال همسها ان يراها كاملة ، ويقربها ويضمها ويعانقها ويصف تضاريس جسمها وصفا دقيقا حتى منابت شعرها ، بل واسمها ، ويقنعنا عن طريق المشاعر أيضا ، كيف عرف عنها من تلقاء نفسه كل شىء . حتى طفولتها والأغانى التى كانت « تدندن » لها جدتها بها قبل النوم « وقد يستنكر البعض أن يحدث هذا كله دون أن نتبادل كلمة سليمة واحدة وان استطيع ان ادرك كل هذا من خلال همس مسحوق ، ولكن فليسأل المستنكر